جواب: أودّ أن أُبيِّن أن الناس لهم القدرة في تكوين آرائهم؛ إذ ليسوا جميعاً أغبياء لتصديق كل ما يقرؤون أو يسمعون من أخبار، ولكن إذا رأوا بعض العادات السَّيِّئة تظهر في أفعال المسلمين أنفسهم، فمن المحتمل أنهم يُصدِّقون ما يقرؤون.

الفصل الثامن: خلاصة البحث

١ ـ أهمية الإفتاء وعظيم خطره وفَضْلِه:

إنَّ الجُرأة في الفَتْوى مُصِيبة سواءٌ في الإباحة أو في الحُرْمَة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾[١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾[٢].

وقال ﷺ: «أجْرَؤكم على الفُتْيا أجْرَؤكم على النّار»[٣].

وعن الشَّعْبيّ قال: لا أدْري: نصف العلم[٤]. قال الإمام النَّوويّ في «**آداب الفتوى والمفتي والمُسْتَفْتِي**»: «ولهذا قالوا: المُفْتِي مُوَقِّعٌ عن الله تعالى.

وعن ابن المنكدر قال: العالِمُ بين الله تعالى وخَلْقِه، فَلْيَنْظُر كيف يَدْخُل بينهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهم: «مَنْ أَفْتَى في كل ما يُسأل فهو مجنون».

وعن الإمام الشافعِيّ، وقد سُئِلَ عن مسألةٍ فلم يُجِبْ؛ فقيل له، فقال: حتى أدْري أنَّ الفضل في السُّكُوت أو الجواب.

وعن الإمام مالك أنه رُبَّما كان يُسْأل عن خمسين مَسْألة، فلا يُجيب في واحدةٍ منها، وكان يقول:

«مَنْ أجابَ في مسألةٍ فينبغي قبل الجواب أن يَعْرِضَ نفسه على الجَنَّة والنَّار، وكيف خَلاَصُهُ ثم يجيب»[٥]. انتهى كلام النووي.

قالَ حُجَّة الإسلام: فَانظر كيف انعكس الحال، صار المَرْهوبُ منه مطلوباً والمطلوب

---

(١) سورة النحل، الآية: (١١٦).

(٢) سورة يونس، الآية: (٥٩). قال الزمخشري في «**الكشاف**» (٢/ ١٩٥): «وكَفى بهذه الآية زاجرة زَجْراً بليغاً عن التَّجَوُّزِ فيما يُسْئَل عنه مِنَ الأحكام، وباعِثة على وجوب الاحتياط، وأنْ لا يقول أَحَدٌ في شيء جائز أو غير جائز إلاّ بعد إيقان وإتقان، ومن لم يوقِنْ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وليصمت، وإلاّ فهو مُفْتَرٍ على الله» انتهى كلام الزمخشري.

(٣) رواه الدّارمي في «السنن» (١/ ٥٧) من المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشِّدة. وذكره المناوي في «**فيض القدير**» (١/ ١٥٨) عن عبيد الله بن أبي جعفر مُرْسلاً.

(٤) الزبيدي «**إتحاف السادة المتقين**» (١/ ٣٩٣).

(٥) النووي «**آداب الفتوى والمفتي والمستفتي**» بعناية بسام عبد الوهاب الجابي الصفحة (١٤ ـ ١٦).

مَرْهوباً[١]؟

قال الشاعر:

على قَدْرِ علم المَرْء يَعْظم خَوْفهُ ... فَلاَ عالِمٌ إلاّ من الله خائِفُ
وآمِنٌ مَكْرَ اللَّهِ باللَّهِ جاهِلُ ... وخائِفٌ مَكْرَ اللَّهِ بالله عارِفُ[٢]

وقال آخر:

وما مِنْ كاتِبٍ إلاّ سَيَبْلَى ... ويُبْقِي الدَّهْرُ ما كَتَبَت يداه
فلا تَكْتُب بِكفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ ... يَسُرُّكَ في القِيامَةِ أنْ تَراه[٣]

٢ ـ نتائج البحث:

١ ـ الغناء أقسام: حرام، ومكروه، ومندوب، وهو مرتبط بالشعر، والشعر قسمان:

ـ قسم مباح لا خلاف في جوازه: كالأشعار الحماسيَّة المشجعة في الجهاد والبناء والعمل، والأشعار المحفوظة لتعلّم الفصاحة واللغة العربية ونشر الفضيلة والآداب، وأشعار الزهد ومدح النبي ﷺ، ومنه ما يقال في مناسبات الفرح كالعيد، والعُرْس، وقدوم الغائب، والترويح عن النفس من الملل، والعقيقة، وتمام حفظ القرآن وكل ذلك شرط أن يسلم من فحش وفسق وفجور.

ـ قسم متفق على تحريمه لعلة المجون فيه وهو الغناء المعروف بالتلحين والتمطيط، يحرّك الساكن، ويبعث الكامن ويعرض بالفواحش[٤]، فما كان ذريعة للحرام فحرام.

٢ ـ أفضل السماع سماع القرآن لأن سببه أفضل الأسباب.

٣ ـ يليه من تحضره المعارف الربانيّة عند سماع الوعظ والتذكير، إذ ليس فيه غَرَضٌ للنفوس حاصِلٌ من الأوزان.

٤ ـ ثم سماع الحُداء والنشيد وهو بدعة لا بأس بسماع بعضها. وهذا ترتيب سلطان العلماء العز بن عبد السلام[٥].

٥ ـ لم يرد نَصٌّ صريحٌ في الكتاب ولا في السُّنَّة في تحريم سماع الغناء أو آلات اللهو يحتج به.

٦ ـ كل ما وَرَد من نصوصٌ صحيحة فهو مُقَيَّدٌ بشرب الخمور، واللهو، والفتنة وهو حرام وينطبق على معظم أغاني زماننا بمجملها في الشرق والغرب لفقدان الدولة الإسلامية فالإعلام صورةٌ للنظام.

---

(١) المناوي «فيض القدير» (١/ ١٥٩).
(٢) الزبيدي «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٦٨).
(٣) حيدر قفة «الصحوة الإسلامية، مواقف تستحقّ المناقشة» الصفحة (٢٢٦).
(٤) ابن حجر العسقلاني «فتح الباري» (٢/ ٤٤٢).
(٥) العز بن عبد السلام «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (٢/ ١٨١).

٧ ـ ورد في الصحيح أن الشارع وكبار الصحابة سمعوا أصوات الجواري والدُّفوف بلا نكير.

٨ ـ أن الأَصْلَ في الأشياء الإباحة.

٩ ـ ورد نَصٌّ في القرآن بإحلال الطيّبات والزينة وتحريم الخبائث.

١٠ ـ لم يرد نَصٌّ عن الأئمة الأربعة في تحريم سماع الآلات.

١١ ـ كل ضارٍّ في الدين، أو العقل، أو النَّفْس، أو المال، أو العِرْض (وهي محاور معظم غناء هذا الزمان) فهو من المُحَرَّم، ولا مُحَرَّم غير ضارّ.

١٢ ـ من يعلم أو يظن أن السماع يُغريه بمحرَّم، حرم عليه.

١٣ ـ إن الله يحب أن تُؤتى رخصه كما يُحِبُّ أن تؤتى عزائمه.

١٤ ـ إن تَتَبُّعَ الرُّخَص والإسراف فيها مذمومٌ شرعاً وعقلاً.

١٥ ـ إذا وصل الإسْراف في اللهو المُباح إلى حد التشبّه بالفسّاق كان مكروهاً أو مُحَرَّماً.

وهذه خلاصة الشيخ محمد رشيد رضا[1] لإبطال دعوى الإجماع المزعوم على حذف الغناء والموسيقى من المجتمع وشطبها بأمر رقابة الدولة الشرعية.

هذا وقد تبيَّن لنا خلال هذا البحث بعض الملاحظات نوجزها بما يلي:

أولاً: إنَّ موضوع الغناء والمعازِف هو من أشدّ المواضيع اختلافاً بين الفقهاء[2]

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا «**مجلة المنار**» (٩/ ١٤٧) و «**الفتاوى**» (٢/ ٤٩٢) نقل عنهما حيدر قُفَّة في «**الصحوة الإسلامية**» الصفحة (١٠٩)، وهشام عرّافة في «**الغناء والموسيقى بين المجيزين والمانعين**» الصفحة (٣٣).

(٢) وليس الغناء وحده موضع اختلاف الفقهاء، بل أغلب مسائل الفقه قائمة على الظن ومن ذلك شرب النبيذ ونكاح المتعة.

قال الخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٦/ ٢٣٧) في ترجمة ابن علية عن علي بن خشرم:

قلت لوكيع: رأيتُ ابن عُلية يشرب النبيذ حتى يُحْمَلَ على الحِمار، يحتاج من يردّه إلى منزله، فقال وكيع: إذا رأيتَ البصريَّ يَشْرَبُ فاتَّهِمْهُ، وإذا رأيتَ الكوفيَّ يَشْرَبُ فلا تتهمه. قلت: وكيف؟! قال: الكوفي يشربه تَدَيُّناً، والبصري يتركه تديناً».

وقال الذهبي في «**سير أعلام النبلاء**» (١١/ ٨٨): «وقال ابن الجنيد: سمعت يحيى يقول: تحريم النبيذ صحيح، ولكن أقف ولا أُحرمه، قد شربه قومٌ صالحون بأحاديث صحاح، وحرَّمه قومٌ صالحون بأحاديث صحاح».

وفيه أيضاً في ترجمة الثوري (٧/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠): «قلت مع جلالة سفيان كان يبيح النبيذ الذي كثيره يُسْكِر.. قال سفيان: إني لآتي الدعوة وما أشتهي النبيذ فأشربه لكي يراني الناس» أي يشربه تديناً وانظر ترجمة وكيع بن الجراح في (٩/ ١٤٣).

وقال الذهبي في «**ميزان الاعتدال**» (٢/ ٦٥٩) في ترجمة الإمام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج: «هو في نفسه مُجْمَعٌ على ثقته مع كونه قد تزوج سبعين امرأةً نكاح المتعة، كان يرى الرخصة في ذلك، وكان فقيه أهل مكة في زمانه».

وقال في ترجمة إبراهيم بن سعد الزهري المدني في «**الميزان**» (١/ ٣٤): «إبراهيم بن سعد ثقة بلا تُنْيا، وكان إبراهيم يجيد الغناء».

وشربُ النبيذ، ونكاح المتعة، وإجازة الغناء كل واحدة منهن مَذْهَبَ لبعض البلاد، فإذا التقط الرجل هذه الرُّخَص التِقاطاً، جاز الجَرْحُ في حقه ما دام قصده التحلل والتحيل. وانظر كلام الإمام الذهبي في «السير» (٨/ ٩٠) في ترجمة الإمام مالك عمن يتبع رُخَص المذاهب وزلات المجتهدين، وقد سبق.

والمفكرين القدامى والمعاصرين، ومن طالَعَ أدِلَّة الفريقيْن وَجَدَ هذا الاختلاف لفظِيّاً، فمقصود المُحَرِّمين ـ بارك الله سعيهم ـ هو الفِتْنَةُ في الدِّينِ والمُجُون، ومقصود المجيزين الترويحُ عن القُلُوبِ التي تَصْدَأ كما يَصْدأُ الحَدِيدُ وهذا مَطْلَبٌ شرعِيّ، ولا يقول بإباحة الغناء والمعازِفِ الآثمة إلاّ إباحِيٌّ خَلِيعٌ.

ثانياً: إنَّ الخلاف مُقَرَّرٌ في الشريعة الإسلامية، ورَحِمَ اللَّهُ سفيان الثوري حين قال: «إذا رأيتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ الذي اخْتُلِفَ فيه وأنت ترى غيره، فلا تَنْهَه». وقد قال العلماء: «نعملُ فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضُنا بعضاً فيما اختلَفْنا فيه».

ثالثاً: إنَّ كثيراً من الفقهاء القدامى والمعاصرين الذين عالَجُوا هذا الموضوع، تَعَصَّبُوا لرأيهم ولم يُعالِجوه بإنصاف، فالمانعون جَمَعُوا كل الآراء التي تناصرهم كاتمين أدِلَّة المجيزين، مُوهِمين أنَّ كل العلماء على رأيهم، وفي هذا إجحافٌ بالعلم والناس، وبعض المجيزين والمفكرين الإعلاميين المعاصرين ذهبوا إلى الإباحة بدون شروط ودون التحدُّث عن الضوابط أو تقديم البديل في عصر الانحطاط الإسلاميّ؛ والصواب في المسألة عَرْضُ الرأيَيْنِ ثم الترجيح بينهما وصولاً للحقّ الذي هُوَ هَدَفُ الجميع.

رابعاً: إنَّ من الخطأ عند المجتهد أو الفقيه إدخال طبعه عند إصدار الأحكام في هذا الموضوع، فالمسألةُ مسألةُ شَرْعٍ لا طَبْع، والكثير منهم مَنْ يَضَعُ النتيجة مسبقاً، ثم يسوق الأدلة التي تناصر رأيه، في حين أن الأصل في التشريع قُرآنٌ وسُنَّةٌ.

خامساً: إنَّ الفِقْهَ هو الفَهْم لاستنباط الأحكام مِنْ خلال العِلَلِ ومقاصد الشريعة الغَرَّاء وضوابط المصلحة، وليس حِفْظ النصوص ـ خصوصاً إذا تضاربت لديه ـ وإلاّ لَعُدَّ كل حافِظٍ للقُرآن والحديث فقيهاً. وما يتهاون الذين يكتفون باسم المصلحة فيما يرونه من أحكام إلاّ هَرَباً مِنْ جُهْدٍ لم يأخذوا أنفسهم به.

سادساً: إنَّ مِنْ واجِبِ الفقيه تحسين الظنِّ بالمُسْلِم، لأنَّ الكامِل لا يَرَى الأشياء إلاّ كامِلَة.

سابعاً: إنَّ مُداراة الفقهاء للأنظمة السياسية التي تجعلهم أبْواقاً لها ـ قديماً وحديثاً ـ ليست من صفات العالِم الذي يَخْشَى الله.

ثامناً: إنَّ كثيراً من الأحاديث التي وَرَدَت في موضوعَيْ الغناء والمعازف ضعيفة، وأغلبها مُنْكر بل موضوع، وقد اعتمد عليها فقهاء المذاهِبِ الأربعة قديماً في كتب الفِقْه لتحريم الغناء الماجِن الذي اخترق شرائح المجتمع الإسلامي منذ بداية العصر الأموي، وما زالت ثُلَّةٌ من الفقهاء المعاصرين المُقَلِّدين يحتجُّون بها لبناء الأحكام، والصواب أن العمل بهذه الأحاديث الضعيفة يجوز عند البعض للترغيب في فضائل الأعمال وليس الاحتجاج بها أمام هذا الطوفان من الغناء الماجن الهابط الذي يعكس صورة الجنوح اللاديني السياسي.

تاسعاً: إنَّ كُتُبَ الأدب العربي أمثال كتاب «**الأغاني**» لأبي الفَرَج الأصبهاني، و «**العِقد الفريد**» لابن عبد ربِّه، و «**المُسْتَطْرَف**» للأبشيهي، و «**نهاية الأَرَب في فنون الأدَب**» للنويري لا تُعَدُّ مصادِرَ مَوْثوقة لنقل الأخبار، نظراً لانقِطاع أسانيدها وضَعْفها وقد جمعت الغَثَّ والسمينَ، وكل الجهات العلمية التي اعْتَنَت بإخراج هذه الكتب[1] مِنْ عالَم المخطوطات إلى دُنيا المطبوعات اكتفت بسلامة نصوصها وتبيان الفروق بين ألْفاظِها، في حين أن المنهج العِلْمِيّ يقتضي دراسة أسانيدها في ميزان النَّقْدِ الحديثي، وهذا ما لم يتوفّر بعد، وهل آفة الأخبار إلاّ رواتها؟

عاشِراً: إنَّ لغتنا العربية الجميلة التي نزل بها القُرآن المجيد والتي نُعَبِّر بها إما عند النُّطق أو الكتابة هي لغة موسيقية. وإن من شروط بيانها الوقوف على أوزانها التي تطرب لها الأذُن العربية، وكُلّ ما ليس له وَزْنٌ في اللغة العربية، لا يُعَدُّ عربياً، وأكثر ما تَتَجَلَّى هذه الموسيقى في الشِّعْرِ العربي الذي يُعْتبَر أشدّ الفنون أرْتباطاً بالموسيقى والإيقاع.

وإن الدارسين القُدامى لِعلوم القُرآن أمثال الزركشي في «**البرهان**» والسيوطي في «**الإتقان**» لم يتناولوا بالدراسة الإعجاز الفني للقُرآن، وقد شَغَلوا أنفسهم بمسائل إعجاز القُرآن بالنسبة إلى السَّلَف كالتشبيه والاستعارة، والكناية والتعريض وغير ذلك، وهي المسائل التقليدية التي لم تَكْشِفْ لنا منبع الإعجاز الفني الموسيقيّ للقُرآن الكامِن في صميم النَّسَقِ بعكس الأُدباء المعاصرين الذي صَبُّوا دراساتهم الأدبية والفنيّة على الناحية الجمالية للموسيقى في القُرآن الكريم، ومن أهم هؤلاء: مصطفى صادق الرافعي، ومحمد المبارك، وسيّد قطب، ود. محمد سعيد رمضان البوطي، وشيخ بكري أمين، ود. صلاح الدين الخالدي، ود. صبحي الصالح، حيث إنَّ لِسَماع القُرآن من مقرىء حسن الصوت إضافةً لوجوه الإعجاز الأخرى سلطانٌ قويٌّ يَقهر القلوب في الدعوة إلى الله، مما يُفسِّر حُبّ النبي ﷺ لسماعه من أصحابه.

حادي عشر: إنَّ الشريعة تُنَظِّمُ الغرائز ـ ومنها غريزة السَّماع ـ ولا تقضي عليها.

ثاني عشر: إنَّ الوَسَطِيَّة هي قاعِدَة الشرائع السماوية، وقد أشار إليها القُرآن الكريم في كثيرٍ من المواقع، وأما الغُلُوّ والتطرّف فقد ذَمَّهُ الشرع وهو لِشَوَاذ النّاس.

ثالث عشر: إن كلمة اللهو والطرب لا تنصرف كما يعتقد الكثير من الناس والعلماء المتزمتين إلاّ إلى اللهو والطرب المحرَّم، لا فرق بين الغَثِّ والسَّمِين ولا الطَّيِّب ولا الخبيث، والصواب أن هناك أنواعاً كثيرة من اللهو المباح والطرب أقرهما ديننا الحنيف تعين المؤمن على الجدّ المرّ والقيام بالعبادة أتم قيام، ومن ذلك: الغناء والطرب في المناسبات السعيدة

(١) أو نقلت عنها في دراساتها الأدبية، فأصبحت هذه الأخبار مشتهرة رغم بطلانها.

والمزاح بشروط، ومداعبة الرجل أهله، واللعب بالمراجيح، ولعب الأطفال، والفروسية، والمصارعة ورفع الأثقال، والعدو بالأقدام، والسباحة، والصيد بشروط وجميع أنواع الرياضة البدنية وإنشاد الشعر الإسلامي. ولا يغفل عن هذا إلاّ من اعتبر البشر ملائكة، فصارت الحياة عنده حراماً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾[1].

رابع عشر: إن الأصل في الغناء الإباحة إلاّ ما أدّى إلى غَرَضٍ غير مشروع فيحرم سدّاً للذرائع، وهو (أي الغناء) سلاح ذو حدّيْن يستعمل للخير والبناء والفضيلة فيكون محموداً نافعاً مُفِيداً، ويُسْتَعملُ للشرِّ والسُّوءِ فيكون مذموماً: مكروهاً أو مُحَرّماً.

خامس عشر: إن الأصل في المعازف هو التحريم كما ورد في حديث البخاري عند فريقٍ من الفقهاء باستثناء ما تقتضيه الضرورة التي تُقدَّر بقَدَرها، وهو الذي نختاره ونستحبّه في زمن النفاق والشقاق والانحطاط، فالمفتي الجاهل بأحوال أهل زمانه من أجهل الناس كما يقول ابن عابدين في رسالته «**شرح منظومة رسم المفتي**» الصفحة (٥٠).

وهي ـ أي المعازف ـ غير مُحَرَّمة لِعَيْنِها أَصْلاً كالدَّمِ والخِنْزِير والميتة والصَّنَم عند فريقٍ آخر من الفقهاء، بل حرمتها مُقَيَّدَة بالفتنة والمجون، أي في توظيفها، فإن استخدمت المعازف في حرام فهي حرام، وإن خرجت عنها العِلَّة عادت إلى دائرة الإباحة.

وإنَّ بالإمكان برأي هذا الفريق الثاني تقويمها وبيعها وشرائها وضمانها إن اسْتُخْدِمت في مُباح.

كما أنَّ الدعوة لإنشاء معاهِد موسيقية إسلامية لتخريج فنانين مسلمين لِرَفْعِ المستوى الفني ليس حَرَاماً عندهم، شرط أن يَتِم ضمن خطة إعلامية يرسمها النظام الإسلامي السياسي وتشرف عليها لجنة إعلامية ضابطة للكلمة الهادِفة واللحن الجيد وفق سياسة إعلامية شرعية حيث يكون بالإمكان اتخاذ الغناء صناعةً ومهنة يستطيع المُنشد من خلالها أخذ الأجرة على مهنته فتدخل في باب العقود المالية وشروطها.

سادس عشر: إنَّ القول بعدم القدرة على إزالة عِلَل المعازِفِ عند المُحَرِّمين لها غير صحيح، بدليل توبة الكثيرين من عباد الله قديماً وحديثاً، وإطلاق استحالة خروج العِلَّة يعني إقفال باب التوبة التي أكَّدَها القُرآن الكريم، وهذا ما لم يَقُلْ به عالِمٌ فضلاً عن جاهِلٍ.

سابع عشر: إن أهم المعازف التي عرفتها الجزيرة العربية زمن الرسول ﷺ وقبلَ الفتوحات الإسلامية الكبيرة هي الدُّف بأنواعه والطبل والمزمار، وأما باقي الأنواع كالسنطير، والجَنْك، والبَرْبَط، واللُّور، والمستق فذات منشأ عجمي دخلت على المجتمعات الإسلامية العربية مع دخول المخنثين من بلاد الشام وفارس ومصر وإفريقية بعد الفتوحات الإسلامية

(١) سورة الأنعام، الآية: (٣٢).

الكبيرة وكان هؤلاء سبباً في انحرافها، مما دعا الفقهاء إلى التحفظ والمنع والإنكار أمام الظواهر الفنية من بيئة غير مسلمة. ولم تكن الظواهر الفنية للبيئة العربية تعرف إلاّ الشعر والإنشاد الشعبي عموماً، فلما تمخض التمدد الإسلامي عن ضروب فن جديد أنكرها الفقهاء الذين كانوا يرتابون في المجلوبات كافة كما ارتابوا في علم الكلام ـ نظراً للآثار السيئة التي طالت شرائع المجتمع الإسلامي.

ثامن عشر: إنَّ الأسباب التي كانت وراء حُرْمَة الغِناء والموسيقى مُطلقاً في التاريخ الإسلامي هي المجون والخلاعة أولاً، فحين تجاوز التَّحَلُّلُ الآداب التحسينيَّة لِيأتي على الأحكام الأساسية نفسها، أصبحت تُرافقه الكؤوس لِتخامِر الرؤوس فتعربد النفوس، وهذا كان مقصود الأئمة الأربعة في التصدِّي للانْحِلال و «انحراف» أخلاق المجتمعات الإنسانيّة وآدابها انطلاقاً من رسالة الإسلام في تهذيب النفس البشرية وإصلاحها، وهو الشكل الذي طفق يزداد سوءاً يوماً بعد يوم إلى أنْ دَخَلَ منطقة التحريم بيقين، وهو غالب غنائنا اليوم في الشرق والغرب.

ثم ادِّعاء وَجْد جُهَّال المتصوِّفين والمُشَعْوِذين ثانياً وما أكترهم حتى في زماننا، الذين أباحوا أنواعاً مِنَ الذِّكْرِ فيها الصفيق والاختلاط بالنِّسوان والنظر إلى المردان والرقص بالتيجان وهذا ما ساهم عَبْرَ الزَّمَنِ في تعميق مفهوم تحريم الغناء والمعازِف مطلقاً.

تاسع عشر: إنَّ كثيراً مِنَ الأنظمة الوَضْعِيَّة والإسلامية السياسيَّة القديمة والحديثة في الشرق والغرب استخدمت سلاح الغناء والمعازِفِ الماجن لأهدافٍ مرسومة واضحة ومكشوفة لِتَخْدير شعوبها وَإلْهائها عن قضاياها الأساسيَّة، وإفساد دينها لِصَرْفِ نظرها عن سوء التصرّف والخراب والدَّمار الذي يحلُّ بها. وهذا سببه الجنوح اللاديني عن عالم السياسة والاقتصاد، ولما اطرد انحطاط دين المسلمين، اتسع نطاق الحياة اللادينية وأدَّى إلى نضوب الدوافع الدينية التي كانت ترقى بحياة المسلمين إلى تدهور عام في السياسة والاقتصاد والعلم والفن، لا يسلم من الحرام في ممارساته.

عشرون: إن بالإمكان إصلاح الغِناء الماجِنِ والموسيقى المرافقة له الذي يشكل ($\frac{4}{5}$) الغناء الموجود الآن في الساحة الإعلامية مِنْ قِبَل لجنة تضمّ كِباراً من علماء النفس، وعلماء الاجتماع والتربية، وعلماء اللغة العربية، وعلماء التاريخ الإسلاميّ والشريعة، وِفْقَ ما يُسَمَّى بـ «التخطيط الإعلامي» الهادِف والواضح والمدروس، ولِدَوْلة السودان الشقيقة التي يطبَّقُ فيها نظام الشريعة الإسلامية تجربة رائدة في هذا المجال.

واحد وعشرون: إن دعوات الإصلاح هٰذه، دَعَت كثيراً مِنَ المسؤولين الإعلاميين والتربويين المُتَحَلِّلين المُتَقَدِّمين وتُجَّارَ الفُنون والجنس والشهوات إلى استغلال هذه النتيجة مع تطوّر الوسائل الإعلامية المُذْهِلَة منذ بداية القرن العشرين، فَأَدَّت بالوطن الإسلامي إلى

هزائم النفوس البشرية وكوارث عسكرية ومفاسد أخلاقية، وليالي مُظْلِمة وسهرات آثمة تحت فحيح الرَّغبات والشهوات أمام التحديات الكبيرة حتى بتْنا نُغَنِّي كثيراً ونَعْمَل قليلاً، وكأن الدول المُتَخَلِّفَة مثلنا لا تملِكُ القرار ولا تُحْسِنُ الاخْتِيار في زمن الانحطاط والأقزام الذين حكموا على أجيالنا بالضياع وضَلَّلوا الكثير من عباد الله في متاهات الانحراف العقائدي والتربوي، وهو ما يسعى له أعداء الإعلام في الشرق والغرب بكل مكر وقوة.

ثاني وعشرون: إن من المستحيل المُطالَبَة بالدعوة لإصلاح الغناء والمعازف في غياب النظام السياسي الإسلامي ـ مما يُبقي هذا البحث عند المجيزين في عالم النظريات البعيد عن التطبيق ـ لأنَّ ثمرات هذه الدعوة وسط أنظمة النِّفاق والشِّقاق المعاصرة ستؤدِّي للانحراف وأودية المفاسِد وسوء الأخلاق، حيث إن الفتوى تختلف باختِلاف الأحوال والأزمان والأشخاص[1].

وإن الوطن الإسلامي اليوم بحاجة في هذا الزمان الرديء من القرن العشرين إلى الكثير من الإخلاص والجدّ، والقليل من الترويح، وواقع المسلمين اليوم يحتاج موقِفاً مماثِلاً لمواقِف الصحابة الأول أمثال أبي بكرٍ وعُمَر رضي الله عنهما وهو الوَرَع وفيه جِدَارُ الحِكْمَةِ.

ثالث وعشرون: إنَّ الوضع الحالي للغناء والمعازف وما يُصْرَفُ عليه من جليل الأموال مع هَدْرِ الطاقات والأوقات، وما يُكتَبُ له في صفحات وسائل الإعلام مرفوضٌ شرعاً وعَقْلاً.

رابع وعشرون: إنَّ على المعاهد الإعلامية الإسلامية اعتبار الغناء والمعازف سِلاحاً إعلامياً اليوم، له أهميته وتأثيره وخطورته في حياتنا اليومية، يُفْرَضُ علينا من وراء الباب، وينفذ من الشباك بمواضيعه المتعددة، بعكس الزمن الأول حيث كان يذهب إليه رُوَّادُهُ طائعين مختارين، وإنَّ على الدُّعاة والمصلحين محاربة الغناء الماجِن والتحذير منه، ثم الانخراط ومواكبة التطور البشري لاستغلال وسائل الإعلام المتطوّرة و «ثروة الاتصال» من تلفزيون (رائي)، وراديو (مذياع)، ومسجلات صوتيّة، ومَسْرح، وفيلم، ومَجَلَّة لتوظيف هذا السلاح التوظيف الصحيح بدل السَّلْبِيَّة أو التيْب أو إشهار سيف الممنوعات في زَمَنٍ تتطوَّر الأشياء فيه بسرعة مُذْهِلَة وتُقْلَبُ فيه المفاهيم رأساً على عِقب، تحت طائلة بقاء النصوص الدينية في الكتب حيث ينفصم العلماء عن الحياة والناس.

خامس وعشرون: إن الفنون والجمال ذات صلةٍ بالدِّين، بل الجمالُ هُوَ الفُرْصة للتدين قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾[2] وصُوَرُ الجمالِ في الكون المشهود تَجْذُبُ نَظَرَ النَّاظِرينَ فَتُوحي إلى ما فيها من آياتٍ للمتفكّرين تَدُلّهم على ما

(١) وتأمل كيف أفتى ابن عباس مرة بتوبة قاتل العمد، ومرة بعدم توبته كما في «الجامع لأحكام القُرآن» للقرطبي (٥/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) المسألة السابعة.

(٢) سورة الكهف، الآية: (٧).

وراء الأشياء من خالِقٍ، وتعرفهم بما له من صفات الكمال والحكمة والإبداع. قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦﴾[1] وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠﴾[2].

وليس الفن إلا صنع الجمال، وهو قدرة وموهبة من الله للإنسان تستتبع التكليف والمسؤولية.

سادس وعشرون: إن الفنون والجمال ذات طبيعة مزدوجة، يمكن للإنسان بإدراكه أن يهتديَ، ويَعْبُدَ اللَّهَ ويزدادَ هدىً وعبادةً ـ فبالتوحيد يتخذ الإنسان الفن وسيلة إلى الله ـ، ويمكن أن يَضِلَّ ويقع في شباك الفتنة حيث يسقط اللامتدينون، والإنسان في حالة المفارقة الحاسمة بين الإخلاد إلى الأرض أو المعراج إلى الله.

ويَصِفُ القُرآنُ الدُّنْيا وزينتها لمن يغترّ بها ويُفْتَنُ عن كل غايةٍ وراءها بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢٤﴾[3].

سابع وعشرون: إن الغناء والمعازف هي مقياس للالتزام بمبادىء الدين، فبقدر الالتزام بمبادىء الإسلام وقواعده في السياسة وطرق الحكم والعلم والفن بقدر ما يتجلى رقي النفس البشرية التي تسمو بقواعد الشريعة الغرّاء، وبقدر الجنوح اللاديني عن هذه القواعد بقدر ما يصيب المجتمعات الإسلامية الانحطاط حيث تتحكم في الإنسان شهوة الحكم وعبادة المال والجنس فلا تسلم هذه الأمور من حرام في ممارستها.

ثامن وعشرون: إن المراقبَ لواقع المجتمعات الإسلامية في القرن العشرين يلمس بوضوح سيطرة اليهود على وسائل الإعلام من راديو وتلفزيون ومجلة، فالذين يدعون إلى الانحلال الأخلاقي والتحلل من القيم والروابط الاجتماعية والأخلاقية التي يرفضها الدين والمجتمع، يدعون بِعِلْمٍ أو غير عِلْمٍ إلى تطبيق «**بروتوكولات حكماء صهيون**» والتي تشير بصراحة ووضوح إلى المُخَطَّط التَّلْمُودِيّ الهادف إلى تدمير المجتمعات الإسلامية.

فقد نَصَّ البروتوكول الثالث عشر من الصفحة (١٦) طبعة دار الكتاب العربي:

«وسنعمل للحيلولة دون قيام الأغيار ـ أي غير اليهود ـ بأي تفكير حقيقي نابع عن ذاتهم على توجيه اهتمامهم إلى مجالات اللهو والألعاب والتَّسْلِيَة والإثارة الجنسية، ومثل هذا

---

(١) سورة الصافات، الآية: (٦).
(٢) سورة النمل، الآية: (٦٠).
(٣) سورة يونس، الآية: (٢٤).

الاهتمام سَيَصْرِفُ عقولهم تماماً عن القضايا التي نجد أنفسنا مضطرين إلى مكافحتهم فيها. وإذا غدوا شيئاً فشيئاً أقلّ اعتباراً للتفكير المستقلّ، فإنهم سَيُعَبِّرُون عن أنفسهم بطريقةٍ لا تختلف عن تعبيرنا نحنُ، لأننا نحنُ وحدنا نستطيع أن نعرض خطوطاً جديدة من الفكر، وبالطبع عن طريق أشخاص لا يعتبرونهم بأي شكلٍ من الأشكال من ذوي العلاقات بنا».

تاسع وعشرون: إنَّ على المسلم أن يُحاسِب نفسه قبل أن يحاسبه ربّه.

٣ ـ ضرورة حُكْم السياسة الشرعية في الموضوع لتقرر ما ترآه مناسباً:

وفي الخاتمة نورد خُلاصة السيد هشام عرافة حول الغناء ووسائل الإعلام حيث يقول[١]:

«إن فَنّ الغناء النظيف الذي لا يمكن منعه ولا التبرّم به، يمكن أن يؤدي رسالة كاملة لا تقلّ عن دور الخطبة أو المحاضرة أو المسرحية أو الفيلم، وربما تزيد إذا ما أُتْقِنَ إعدادُه وتقديمُه».

وهذا الفنّ كما يقول الدكتور فتحي عثمان[٢] لن يُعْفَى طبعاً من قواعد النظام العام والآداب في التأليف والأداء والسماع. ولكن هذا شيءٌ غير المصادرة، وغير التحكّم والاعتساف.

إنَّ كل ما نطلبه أن يختفي من مسرح الفن إسْفَافَ الغِواية... ويختفي من مقاعد الحُضُور مباذِلَ التَّهْرِيج، ويُسَيْطِر على الفنّان والجمهور تجاوب واستغراق... والفنّ بهذه الصورة يستطيع أن يؤدي رسالة في التوجيه والترفيه... طاهراً... مطهراً... كريماً.

«وفي تاريخنا... وفي واقعنا، مادة لهذا الفن زاخرة، نابضة، كلها حياة... تنتظر اللمسة المُبْدِعة لِتُحِيلها شِعْراً، أو نَغماً، أو صورة، أو قصة فَتَجْلُو شخصيّتنا المتميزة وطابعنا الأصِيل».

وبعد،

فإنّه بدون فِقْهنا لديننا، على ضَوْءِ ما جَدَّ في واقعنا، دون زَيْغ عن مبادىء الإسلام ومقاصده، فلن نُفْلِحَ في إقناع العالم بِجَدْوَى ٱسْتِئْناف حياة إسلامية جديدة رشيدة... لأننا سَنَحْكُمُ على أنْفُسِنا بالانْزِواء والانْطِواء إذا ما تجاهلنا واقع العالم اليوم وطرق مخاطبته ووسائل التأثير فيه... ولنستمع إلى هذا المتخصص الإعلامي الإسلامي وهو الأستاذ زين العابدين الركابي وهو يقول[٣]:

---

(١) هشام عرافة «الغناء والموسيقى بين المجيزين والمانعين» الصفحة (٤٠ ـ ٤١).

(٢) الدكتور فتحي عثمان «آراء من تراث الفكر الإسلامي» الصفحة (٨٤ ـ ٨٥).

(٣) زين العابدين الركابي في بحث بعنوان «النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات الإنسانية» ألقاه في اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض في ٢٣ شوال ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م وهو منشور ضمن=

«إنَّ الجيل الإسلامي المعاصر والأجيال القادمة حظّها عظيم في الوسائل إنْ هِيَ أقبلت عليها إقْبال من يَتَحَرَّى التقرُّبَ إلى الله بكلّ وسيلةٍ مُتاحةٍ، وتكيَّفت معها تكيّف من يأخذ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾[1] فِقْهاً يترجمه إلى قاعدة ناطقة بشعار متجدّد دوماً: «كل مسلم مكلف بمخاطبة جيله بلسان عصره».

وهذا يعني أن أمام المخلصين في وزارات التربية والإعلام بذل جهودٍ جبّارة لمواجهة التحديات الكبيرة لإعادة بناء المجتمعات الإسلامية، تبدأ ببناء الأجيال الصاعِدَة بناءً تربوياً صحيحاً، فشبابنا وبناتنا يتطلعون إلى المسؤولين الإعلاميين الذين وضعهم الله في مسؤولية القرار نظرة أمل وخلاص.

إنَّ على هؤلاء المسؤولين أن يُعالجوا التقصير الإعلامي الذريع الذي نشعر به بخططٍ رشيدة للبناء والنهوض، تمنع بَثَّ الفواحش والمنكرات في التلفزيون، والإذاعة، والمسرح، والمجلة والجريدة، وليعلموا أنهم سَيَقِفُونَ يَوْماً بين يدي الله سبحانه وتعالى، وأنه سَيَسْألهم عن قرارهم ومسؤولياتهم تجاه عباده، وأنهم مكلفون ببناء النفوس وتوعية الأفراد وتوجيهها التوجيه الصحيح، لأن الفضائل والأخلاق تشهد في هذا الزمان بمخططات الفساد اليهودية انْحِداراً مخيفاً، وقد عَمَّت البلوى وغلب على الناس الافتتان ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، فأصبح هدف الإنسان الغالِب تحصيل الثروة والشهوات على أنها رأس السلطة بالطرق غير المشروعة.

إذْ يجب مواجهة التقصير الإعلامي الذريع تحت طائلة هَدْم الدين، وتغليب الجهل، والأَهْواء، والإباحية، والشهوات، وبالتالي البقاء في دائرة التخلّف وتحت سيطرة الأعداء مهما طال الزمان.

إنَّ واقِع وزارات «التربية» في غالب دول العالم الإسلامي يشير إلى اعتمادها الفكر المادي البَحت والقوانين الوَضْعِيَّة التي ثَبَت فَشَلُها الذريع في المجتمعات الغربية والأمريكية؛ لا تُعاقِب الزاني ولا أسباب الزنى، ولا شارب الخَمْر ولا تُجّارِه، ولا التدخين ولا ضحاياه، ولا مُدْمِن المخدرات ومشاكله بل على العكس تساعد على انتشار هذه الآفات الأخلاقية بتعطيل «الحدود» التي أمر بها خالق هذا الكون والمتصرّف فيه، وبزرع العقائد الفاسدة في النفوس بما يمنع البشر من تحقيق سعادتهم وآمالهم وبما يمنع عنهم الضرر. «إنَّ وسائل الإعلام ـ إنْ أَحْسَنّا استغلالها ـ تصنع الكثير، ولكن ذلك لا تستطيعه إلا أُمَّة تُحِسُّ أن لها

= أبحاث اللقاء المجموعة تحت عنوان **«الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية»** من مطبوعات الندوة انظر الصفحة (٣٠٤) منه.

(١) سورة إبراهيم، الآية: (٤).

رسالةً في الحياة»[١].

وللإمام شمس الدين الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) فصل في «السماع» بآخر كتابه «الطب النبوي»[٢] أوْضح فيه أن منه مُحرَّم، ومنه واجب، ومنه مُباح، ومنه مستحبّ، ومنه مكروه، وساق فيه أمثلة على كل من الأحكام الخمسة.

وبعدُ، هذا رأينا في الموسيقى والغناء، فَمَن وافقنا فبها ونعمت، ومن خالفنا ولم يقتنع برأينا فعليه بقراءة ما ذكرنا من المراجع وغيرها لعلّه يَصِلُ إلى الحقِّ بأجتهادِه، وعليه أن يعذرنا بعد ذلك ويدعو لنا ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[٣].

وما هذه الرسالة سوى جهد متواضع لتبيان ما رأيناه من حُكْم الغناء والموسيقى في الإعلام لأجيالنا المسلمة الصادقة، الباحثة عن الحلال والحرام، نرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها عباده كخطوة على طريق بناء المجتمع الإسلامي النظيف ثم تأسيس الدولة الإسلامية، ودعوة صادقة لطيفة إلى إخواننا المغنين والمغنيات، الطيبين والطيبات، الذين وَهَبَهُم اللَّهُ الصَّوْت الحَسَن للتَّوْبة والرجوع إلى الله. ولهم نقول: إنَّ فَنَّ الغناء والموسيقى في الإسلام هو حَقٌّ مشروع ورسالة نظيفة في الحياة لا يعرفها إلاّ مَنْ أراد التقرّب إلى الله ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾[٤].

نسأل الله العلي القدير أن يتقبل منا هذا العمل خالِصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لنا زلاتنا فالكمال له وحده، وأن يكتبه في صحائف أعمالنا، وينفع به عباده ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[٥]، و﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٦].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وعلى أصحابه الغُرِّ الميامين، رضوان الله عليهم أجمعين.

وكتبه محمد عبد الرحمن المرعشلي

بيروت ٢٣ صفر ١٤٢٧هـ

الموافق ٢٣ مارس ٢٠٠٦م

---

(١) الشيخ محمد الغزالي من «مجلة أخبار اليوم» العدد ٣٠/ ٤/ ١٩٨٨ الواردة في كتاب الصفدي «رسالة في علم الموسيقى» الصفحة (٤٩).

(٢) طبع كتاب «الطب النبوي» بتحقيقنا وتنشره دار النفائس ـ بيروت في مجلد واحد، ط١، عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٤).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: (٢٤).

(٥) سورة آل عمران، الآية (١٠٦).

(٦) سورة الشعراء، الآيتان (٨٨ ـ ٨٩).